ابن خلدون

— ٣ —

(آراؤه الخاصة في المقدمة) = ولابن خلدون في مقدمته آراء في طبيعة العمران وطبائع الامم في اجتماعهم بنفرد باستنباطها او يكاد . ولما كان مبحثنا في آثار الرجل انما هو من الوجهة التاريخية الأدبية لا من الوجهة العمرانية والاجتماعية وفلسفة التاريخ كان استيعابنا لكل آرائه وتمحيصها بالنقد نقضاً واثباتاً تعرضاً لما لا يعني الأديب .

على انه لم تعد كل آرائه التي ذكرها في مقدمته في سياسة الممالك مطردة في عصرنا هذا اذ أصبحت طريقة الحكم فيه دستورية وكلامه في الدول الاستبدادية المطلقة ، علاوة على ان معدات الحروب وظواهر المدنية الحاضرة وسهولة مواصل الامم بالسكك الحديدية والبواخر والبرقين السلكي واللاسلكي والمسرة كل ذلك يختلف كثيراً عما كان قبل .

ولكن ذلك لا يمنعنا من ان نشير بشيء الى آرائه المسلمة التي لم تنقض بعد وآرائه المتخلفة بحكم المدنية الحديثة فمن الاولى :

(أ) ان الاجتماع البشري لا يخلو من بداوة وحضارة .

(ب) ان البداوة والاخشيشان اصل لكل حضارة .

(ج) ان البداوة تستلزم بالطبع العصبية .

(د) ان العصبية تستلزم الاستقلال وفقدانها يسبب الاضمحلال .

(هـ) أن البداوة تستلزم الخشونة والنشاط ، وهما يستلزمان الغلب والاستيلاء على اهل الحضر والاندماج فيه .

(و) ان نشوء الحضارة او اضمحلالها لا يكون طفرة بل يقتضي انقضاء نصف قرن او اربعين سنة على اقل تقدير حتى يكون تأثير كل قد شمل النشء والشبان والكهول .

(ز) ان تأسيس الدول او غلبة أمة على أمة لا يكون الا بدافع دبني اوسياسي .

(ح) ان غلبة أمة على أمة لايكون الا بدافع نتيجة ضعف المغلوبة ضعفاً لامقاومة فيه بعصبية او قوى أخرى معنوية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(ط) ان التغلب على الأمم القوية بالعصبية او كثرة العدد يكون بالمطاولة لا بالمناجزة .

(ك) ان المغلوب مولع ابداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وعاداته .

(ل) ان الأمة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها (من كل وجه) أسرع اليها الفناء .

(م) ان الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل ان تحكم فيها دولة .

(ن) ان الحضارة في الأمصار تدوم وترسخ برسوخ الدول وطول عمرها .

ومن الثانية اي الآراء المتخلفة التي لا تطرد على إطلاقها :

(أ) ان الدول لها أعمار طبيعية كالاشخاص وان عمرها لا يزيد على مائة وعشرين سنة فان ذلك منقوض بالدولة العباسية والعثمانية وانجلترا وفرنسا .

(ب) ان التنافس والنزاع ضروريان بين الملك وأشراف الدولة وزعمائها وان ذلك ينتهي بتغلب الملك وذلك منقوض بالدول الدستورية كانجلترا .

(ج) ان العرب أبعد الناس عن سياسة الملك .

(د) ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط .

(ح) ان العرب اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الفساد .

(ك) ان المباني التي تختطها العرب يسرع اليها الخراب .

(ل) ان العرب أبعد الناس عن الصنائع .

وآراؤه هذه في العرب من أشنع اغلاطه واوهامه ، وكلامه فيها مضطرب مفكك ليس صادراً عن اعتقاد راسخ او ضمير مخلص ، ولعل الذي حمله على الانحاء على العرب امران : الاول انه كان يخدم دولاً بربرية ثم جركسية سلبت العرب ملكهم .

الثاني ما رآه من عرب المغرب الجالين اليه أوائل القرن السادس للهجرة وما بعده من التخريب والتدمير ناسياً عن ان هؤلاء كانوا من أجلاف البدو الجاهلين تعليمات الاسلام وخلال العرب القديمة زمن الخلفاء الراشدين وبني أمية في الشرق والاندلس والعباسيين والفاطميين بله دول اليمن القديمة والحديثة ، اوغافلاً او متغافلاً ان هذا التخريب كان متعمداً منهم ، وكانوا مأجورين عليه من قبل الدولة الفاطمية بمصر انتقاماً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من المعز بن باديس الذي خلع طاعتهم .

ويدافع بعضهم عن ابن خلدون في حكمه على العرب بهذه الأحكام انه لا يريد دول العرب في صدر الاسلام وانما يريد هؤلاء البدو غزاة المغرب في القرن السادس . وليس ذلك بصحيح فانه كما يخلط بالاستشهاد بهؤلاء الاجلاف من هلال وزغبة ورياح وجشم يذكر العرب الفاتحين الاولين في اختطاط الكوفة والبصرة والقيروان عند بدء تكوين الدول الاسلامية وفي مواضيع أخرى مختلفة

(هـ) ان حملة العلم في الاسلام اكثرهم من الأعاجم وهو منقوض بالاحصاء بتتبع كتب التراجم لأئمة المذاهب الاسلامية والعلوم اللسانية . نعم انه كان يكثر في صدر الاسلام من بني أمية وأوائل الدولة العباسية المتشرفون بالعلم من الأعاجم لاشتغال أشراف العرب باعمال السلطان من الولاية والجباية وقيادة الجند وادارة الملك فلما ضعفت شوكة العناصر العربية في تولي اعمال الدولة اشتغل معظمهم بالعلم وبذوا الاعاجم فيه ، على ان كثرة العلماء من الأعاجم لم تكن غالبة في اي عصر من عصور دول العرب وخاصة دولتهم في الاندلس . ولولا الاطالة لأتينا بثبت إحصاء لأئمة العرب وعلمائهم وقابلناه بمثله من أئمة الموالي وعلمائهم .

(و) ان اخلاق التجار منحطة عن أخلاق الأشراف من الملوك والرؤساء والولاة وذلك منقوض في عصرنا بتجار اوربا واميركا هذا الى كثير من الآراء المنقوضة المتعلقة بالدول الاستبدادية المتباعدة الأطراف .

* * *

(أثر المقدمة في عالم التأليف) = أسبغنا الكلام في تأثير المقدمة في كتابة التأليف والصحف منذ أوائل العصر الحاضر ، ونقول هنا ان موضوع المقدمة بشكلها الشامل لاصول السياسة والعمران والاجتماع والاقتصاد وتاريخ العلوم والآداب في الملة الاسلامية مبتكر لابن خلدون ، وان ذكر غيره في مقدمة تاريخه او عمله بعض هذه الاصول والقوانين العامة كابن الطقطقي وغيره وابتكاره البحث في هذه المسائل ارشد من اتى بعده من مؤرخي الدول والعلوم من العرب والترك والاوربيين الى مجاراته في بعض بحوثه او معظمها ، فنحا حاجي خليفة نحوه في تاريخ العلوم والحضارة في كتابه كشف الظنون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكذلك حسن صديق خان ملك باهو بال بالهند في كتابه ابجد العلوم بل استرق منه فصولاً برمتها . وكذلك العلامة طاش كبري زاده في كتابه مفتاح السعادة . وكذلك القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الهندي في كتابه دستور العلماء او جامع العلوم في اربعة مجلدات ضخام .

وكذلك خير الدين باشا التونسي في مقدمة تاريخه نحا منحاه في الامور السياسية والاجتماعية .

ولجودت باشا التركي المؤرخ المشهور مقدمة لتاريخه باللغة التركية طرقت اكثر أبواب المقدمة وترجمت الى العربية .

وقد قرأت كتابي روح الاجتماع وتطور الامم لغستاف لوبون الفرنسي اللذين ترجمها المرحوم احمد فتحي زغلول باشا فرأيته قد عقد فصولاً كثيرة مقتبسة من المقدمة وانما طبق أحكامها على الجماعات والامم بدل تطبيقها على القبيلة والدول كما يفعل ابن خلدون .

على انه لا ينكر منصف ان مقدمة ابن خلدون هي باكورة المؤلفات المفصلة في علوم الاجتماع والعمران والاقتصاد السياسي .

وقد ترجمت المقدمة الى عدة لغات شرقية واوربية بتعليق وبغير تعليق .

* * *

(تاريخ ابن خلدون) = يعتبر تاريخ ابن خلدون احد المراجع التاريخية الكبيرة التي تغلب عليها صحة النقل وتحري الحق في اللسان العربي ، وان لم يخل من ذكر بعض التهاويل والغرائب التي نعى عليها في مقدمته .

ويمتاز بانه التاريخ الوحيد الذي أسهب الكلام بما لا مزيد عليه في تاريخ أمة البربر في شمالي افريقية ، وألم بغارة أعراب المشرق من سليم وجشم ورياح وهلال وزغبة على دولتي صنهاجة وابادتهم غضراءها وعلى أطراف ممالك الموحدين فأبخسوا فيها زمن الدولة الفاطمية و بايعازها .

وقد كان من نيته عند الشروع في تأليفه ان يقصره على تاريخ الامتين اللتين لهما الشأن الاكبر والاثر الظاهر في حوادث وطنه ، وهما أمة العرب وأمة البربر ثم بدا له

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بعد ان اتم الكلام عليها وبعد ان أزمع الهجرة الى المشرق فضم اليه بعض تاريخ أمم المشرق لتوقع العثور فيه على الكتب المشرقية التي لم يتيسر له الاطلاع عليها في المغرب وكتب اول نسخة منه على صورة غير مستوفاة واهداها الى سلطان المغرب الاقصى من بني مرين ابي فارس عبد العزيز واهدى نسخة منه غير تامة الى ابي العباس احمد من ملوك الدولة الحفصية بتونس وهو آخر ملك لقيه من ملوك المغرب .

ولما جاء مصر ونزل القاهرة وزاول التدريس والقضاء مراراً كان يشتغل في اوقات الفراغ والعزل عن القضاء باكماله الى ان تم على النحو الذي طبع عليه غير ان النسخة التي طبع منها بمصر لم تكن اصح النسخ او انها نقلت من مسودة لم يكن ابن خلدون ملأ كثيراً من الفراغ والبياض الذي يتخللها بكثرة . هذا الى تحريف كثير في الفاظها و بخاصة الاعلام الاعجمية التي لم تضبط فيها على سقط كثير واختلال في بعض التراكيب . ولم يتعرض ابن خلدون كثيراً الى ربط اسباب الوقائع بمسبباتها وعلل سقوط دولة وقيام أخرى ، وبيان العبرة من ذلك لدارس تاريخه كما كان ينتظر منه كل من قرأ مقدمته ، وكأنه اكتفى بما ذكره فيها من القوانين السياسية والاجتماعية وطبائع العمران ، وأحال القارئ لتاريخه على استنباط علل الحوادث منها وتطبيق الوقائع على قواعدها ، وذلك ماجعل بعض الذين لايقدرون أعمال الرجال حق قدرها ان يقول « مقدمة ولا تاريخ » .

وزعم بعض الباحثين من معاصرينا ان ابن خلدون اول من عدل عن كتابة حوادث التاريخ مقرونة بسني وقائعها ومرتبة بتتابعها متداخلة فيها حوادث أمم ودول مختلفة لوقوعها في زمن واحد كما يفعل الطبري وابن الاثير وانه بوب كتابه على ذكر تاريخ كل دولة في فصل خاص به . وليس ذلك بصحيح فانه قد سبق ابن خلدون الى هذه الطريقة المسعودي في مروج الذهب وفي التنبيه والاشراف ، ولعل هذه كانت طريقته في كتابه الكبير أخبار الزمان والاوسط ومثله ابن واضح اليعقوبي ، وابن الطقطقي في الفخري والآداب السلطانية وغيرهم بل كانت هذه ولا تزال طريقة المغاربة في تواريخهم .

وقد ترجم كثير من أقسام هذا التاريخ الى لغات مختلفة وعلق عليه بعض الباحثين آراء شتى .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(نموذج من كتابته) = فمن ذلك صدر رسالة كتب بها الى لسان الدين بن الخطيب رداً على كتاب ويغلب فيه السجع .

سيدي مجداً وعلوا ، وواحدي ذخراً مرجوا ، ومحل والدي براً وحنوا ، ما زال الشوق مذ نأت بي وبك الدار واستحكم بيننا البعاد يرعى سمعي أنباءك ، ويخيل الي من أبدي الرياح تناول رسائلك ، حتى ورد كتابك العزيز على استطلاع ، وعهد غير مضاع ، وود ذي أجناس وأنواع ، فنشر بقلبي ميت الشوق وحشر أنواع المسرات وقدح للقائك زناد الأمل . والله أسأل الامتاع بك قبل الفوت على ما يرضيك ، و يسني أماني وأمانيك ، وحبيته تحية الهائم لموقع الغمائم ، والمدلج للصباح المتبلج الخ .

ومن سجعه في خطبة في فضل التاريخ :

وان فحول المؤرخين في الاسلام قد استوعبوا أخبار الايام وجمعوها ، وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها ، وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها او ابتدعوها ، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها ، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها ، وأدوها الينا كما سمعوها ، ولم يلاحظوا اسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها ، ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها ، فالتحقيق قليل ، وطرف المنتقيح في الغالب كليل ، والغلط والوهم نسيب للاخبار وخليل ، والتقليد عريق في الآدميين وسليل ، والتطفل على العلوم عريض وطويل ، ومرعي الجهل بين الأنام وخيم وبيل ، والحق لا يقاوم سلطانه ، والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه ، والناقل انما هو يملي وينقل ، والبصيرة تنقد الصحيح اذا تمقل ، والعلم يجلو لها صفحات الصواب ويصقل الخ ..

ومن فصوله غير المسجوعة من المقدمة .

وانما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجانهم أموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه ، فغلبوه على امره ، وشاركوه في سلطانه ، ولم يكن له معهم تصرف في امور ملكه ، فعظمت آثارهم ، وبعد صيتهم ، وغمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم ، واحتازوها عمن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وحجابة وسيف وقلم . ويقال انه كان بدار الرشيد من ولد يحيى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ابن خالد خمسة وعشرون رئيساً من بين صاحب سيف وصاحب قلم : زاحموا فيها اهل الدولة بالمناكب ، ودفعوهم عنها بالراح لمكان ابيهم يحيى من كفالة هرون ولي عهد وخليفة ، حتى شب في حجره ، ودرج من عشه ، وغلب على امره ، وكان يدعوه : يا أبت ! فتوجه الايثار من السلطان اليهم ، وعظمت الدالة منهم ، وانبسط الجاه عندهم ، وانصرفت نحوهم الوجوه ، وخضعت لهم الرقاب ، وقصرت عليهم الآمال ، وتخطت اليهم من اقصى التخوم هدايا الملوك وتحف الامراء ، وسيرت الى خزائنهم في سبيل التزلف والاستمالة أموال الجباية ، وأفاضوا في رجال الشيعة وعظماء القرابة العطاء ، وطوقوهم المنن ، وكسبوا من بيوتات الاشراف المعدم ، ومُدحوا بما لم يمدح به خليفتهم ، واسنوا لعفاتهم الجوائز والصلات ، واستولوا على القرى والضياع من الضواحي والأمصار في سائر الممالك ، حتى آسفوا البطانة ، وأحقدوا الخاصة ، واغصوا اهل الولاية ، فكشفت له وجوه المنافسة والحسد ، ودبت الى مهادهم الوثير من الدولة عقارب السعاية ، حتى لقد كان بنو قحطبة أخوال جعفر من أعظم الساعين عليهم ، لم تعطفهم المآثر في نفوسهم من الحسد — عواطف الرحم ، ولا وزعتهم أواصر القرابة ، وقارن ذلك عند مخدومهم نواشيء الغيرة ، والاستنكاف من الحجر والانفة ، وكان من الحقود التي بعثتها منهم صغائر الدالة الخ .

* * *

(منزلته في الشعر) — كان ابن خلدون شاعراً طويل النفس وشعره بالاضافة الى شعر اهل عصره وخاصة المشارقة منهم غاية في الجودة ، وان وصفه هو بانه متوسط بين الجودة والقصور تواضعاً منه : اذ لم يكن اهم بضاعته التي كان يقصد بها الى الملوك ويخدم بها دولتهم ، كما كان شأن الكثير ممن يقول الشعر . وكأنه مما بهمته الى غاية لايكون الشعر الموصل الوحيد الى مداها . واول ما أمعن في قول الشعر والاغراب فيه ايام خدمته السلطان ابا سالم المريني حيث يقول : ثم اخذت نفسي بالشعر ، وانثال عليّ منه بحور توسطت بين الاجادة والقصور . و يظهر ان اشتغاله بالسياسة والتأليف والتدريس جعل قرض الشعر أصعب منالاً عليه من الترسل والتأليف . قال عن نفسه في ذلك : (ذاكرت يوماً صاحبنا ابا عبد الله بن الخطيب وزير الملوك بالاندلس من بني الاحمر ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان الصدر المقدم في الشعر والكتابة ، فقلت له : اجد استصعاباً عليّ في الشعر متى رمته مع بصري به وحفظي للجيد من الكلام من القرآن والحديث وفنون من كلام العرب وان كان محفوظي قليلاً ، وانما أتيت (والله أعلم) من قبل ما حصل في حفظي من الاشعار العلمية والقوانين التأليفية ، فاني حفظت قصيدتي الشاطبي الكبرى والصغرى في القراآت وتدارست كتابي ابن الحاجب في الفقه والاصول ، وجمل الخونجي في المنطق ، وبعض كتاب التسهيل ، وكثيراً من قوانين التعليم في المجالس . فامتلأ محفوظي من ذلك ، وخدش وجه الملكة التي استعددت لها بالمحفوظ والجيد من القرآن والحديث وكلام العرب فعاق القريحة عن بلوغها . فنظر اليّ ساعة معجباً . ثم قال : لله انت ! وهل يقول هذا الا مثلك) .

فلم يكن لذلك الشعر من اهم مميزاته لا لانه متخلف فيه عن غيره كما يقول ، بل لان تميزه بما هو اعلى كعباً في العلم والفلسفة وحسن التأليف وصدق النظر غطى على منزلته في الشعر . وكل ما يؤخذ عليه في الشعر انما هو تناوله المعاني المطروقة للشعراء وقلة ابتكاره فيها . وان كل ما أثر له من شعر كان في غرض واحد هو مدح رسول الله في الاحتفال بمولده ، ومدح الملوك . ومن تغلب عليهم صناعة الشعر يتناولون كل اغراضه الحسنة والقبيحة واليك نماذج من شعره :

(نماذج من شعره) = فمن نسيب قصيدة له قوله :

اسرفن في هجري وفي تعذيبي ... واطلن موقف عبرتي ونحيبي
وأبين يوم البين موقف ساعة ... لعواد مشغوف الفؤاد كئيب
لله عهد الظاعنين وقد غدا ... قلبي رهين صبابة ووجيب
غربت ركائبهم ودمعي سافح ... فشربت بعدهم بماء غروب
يا ناقماً بالعتب غلة شوقهم ... رحماك في عزلي وفي تأنيبي
يستعذب الصب الملام وانني ... ماء الملام لدي غير شروب

وله من قصيدة أخرى :

صحا الشوق لولا عبرة ونحيب ... وذكرى تجد الوجد حين تثوب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقلب أبي الا الوفاء بعهده وإن نزحت دار وبان حبيب
ولله مني بعد حادثة النوى فؤاد بتذكير العهود طروب
يؤرقه طيف الخيال اذا سرى وتذكي حشاه نفحة وهبوب
خليلي لا تستدعيا قدد عى الامى فاني لما يدعو الامى لمجيب
ألمّا على الاطلال يقض حقوقها من الدمع فياض الشؤون سكوب
ولا تعذلاني في البكاء فانها حشاشة نفس في الدموع تذوب

* * *

(الموازنة بين ابن الخطيب وابن خلدون) = ارى الا تكون الموازنة بين رجلين تامة الا اذا توافرت فيها هذه الشروط :

(١) اشتراكهما في امر او امور تغلب على صفاتهما من علم او عمل على تفاوت بينهما طبعاً فلا يوازن بين كاتب وشاعر ولا بين مؤلف وخطيب بل بين كاتبين وشاعرين الخ.

(٢) تقاربهما من بلوغ الغاية في الامر او الامور التي يوازن بينهما فيها فلا يوازن بين متخلف لا اثر له خالد في صناعة وبين نابه خالد الاثر فيها .

(٣) تعاصرهما او تقارب عصريهما وتشابه بيئاتهما التي نشأا فيها .

(٤) ان تُقصر الموازنة على تقدير التفاوت بينهما فيما اشتركا فيه فلا يدخل فيها ما كان خارجاً عنه كشرف النسب كما كانوا يدخلونه بين جرير والفرزدق كما لا تدخل في ذلك الزندقة وصحة العقيدة اذا لم يكن لكل منهما اثر بيّن فيما يُوازن فيه .

(٥) ان ينظر في نتيجة الموازنة والحكم النهائي فيها الى مجموع مزايا كل واحد من الموازن بينهما في صناعة لا الى مقابلة مزية واحدة نبغ فيها احدهما ولم ينبغ الآخر . والى تأثير ذلك المجموع في ترقية هذه الصناعة .

فاذا اردنا الموازنة بين ابن الخطيب وابن خلدون على هذا النمط وجدنا انهما عظيمان متعاصران من بيئتين متقاربتين زاولا تدبير الملك والسياسة والسفارة والتدريس وتوليا كتابة السر والوزارة والفا في فنون شتى اهمها التاريخ ، وانما نريد في درس تاريخ الادب الى ان نميز مما قدر بينهما من التفاوت أيهما كان أبين أثراً وأطول عائدة على العلم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والادب في زمانهما وما بعده فنحصر الموازنة في صناعتي الكتابة والشعر والتاريخ لان الأخير من اهم فروع الادب فنقول :

اما الكتابة فقد رأينا من درس مزايا الرجلين فيها ان ابن الخطيب يؤثر السجع وصناعة البديع في ترسله ويكثر منه في عبارة تأليفه في التاريخ والتصوف ونقيس ما لم نره على ما رأينا ، وهو في هذه الصناعة من أبرع اهل زمانه ان لم يكن أبرعهم جميعاً وانه غزير المادة في اللغة وغريبها متفنن في أساليبها الا ان تكلف هذه الصناعة ، وهي ليست طبيعة لازمة للبلاغة العربية في ذاتها بقطع النظر عن كل زمن وجيل — غطى على محاسن هذه البراعة وقصر محاسنها على اهل زمانه ومن قاربهم ، فلم تكن قدوة حسنة لكل اهل زمن وجيل ما دامت لغة العرب (صانها الله) قائمة البراعة بالكتابة المرسلة ككتابة ابن المقفع والجاحظ .

وان ابن خلدون في صناعة السجع والبديع اقل براعة وفي غزارة المادة اللغوية والتفنن في أساليب الكلام اقصر باعاً من ابن الخطيب الا ان اكثر ما أثر عن ابن خلدون من الكتابة كان من النوع القريب من طبيعة البلاغة العربية الفطرية وهو الكلام المرسل وبذلك تكون كتابة ابن خلدون أدوم أثراً وأبقى نفعاً .

واما الشعر فاذا اعتبرنا ان الشاعر الفائق هو المكثر المجيد الجائل في كل ميدان من فنون الشعر المصيب لاكثر أغراضه المليح الخيال فيه الكثير الاختراع من معانيه شهدنا ان ابن الخطيب هو فارس الحلبة في رأينا وفي رأي ابن خلدون نفسه فيما تقدم فتأثير براعة ابن الخطيب في الشعر كان في اهل زمنه ومن بعدهم بقليل بينا لا في عصرنا هذا .

واما التاريخ فالموازنة بينهما أشبه بالموازنة بين خائض نهر وعابر بحر .

لان ابن الخطيب كتب في نوعين خاصين من التاريخ تاريخ دولة واحدة ، ومدينة واحدة ، والاولى دويلة قصيرة ارخ فيها دولة بني نصر بن الاحمر فلم يكتب فيها الا تاريخ نحو قرن من الزمن ومن الناس . والثانية وهي مدينة غرناطة لا ننكر انه ترجم في اكثر من عشرة اجزاء لكل من سكنها او مر بها من الاعلام بكلام بديع منحوت من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فكره نحتاً وذلك ما لا يبلغ اليه الا بعصب الريق وكد الخاطر الا ان اثره بلاشك خاص باهل بلد واحد او صقع واحد .

ولان ابن خلدون كتب في التاريخ العام وفيه تاريخ دولة بني نصر في كل منهما وفصّل جد التفصيل تاريخ أمة البربر بحيث أصبح المرجع الاعظم فيه ، وكان احسن التواريخ واقلها خطأ في تاريخ قدماء العرب ، وأمم العجم ، وكتب له تلك المقدمة العجيبة التي عدت من مفاخر الامة العربية بما وضع فيها من اصول علوم العمران والاجتماع والاقتصاد وفلسفة التاريخ والتي بقيت ردحاً من الزمن أستاذاً لكل كاتب ومؤرخ من العرب ومن غيرهم وكان أسلوبها قدوة لكتاب الصحف في عصر نهضتنا الأدبية الحاضر ثم هي البرزخ التي عبرت عليه الكتابة العربية بأخرة من المسجوع الى المرسل فتكون مجموعة مزايا ابن خلدون وما ترك من الثروة للأدب وفن التاريخ والفلسفة الاجتماعية أنفع وابقى فتكون كفته ارجح .

وهذا ما عليه نقاد زماننا ، ورأيت كثيراً من فضلاء الزمان الغابر كالقلقشندي والنويري والسيوطي والمقريزي يحله هذه المنزلة فرحمة الله عليهما وعليهم اجمعين .

عضو المجمع العلمي
احمد الاسكندري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net